



6

وجهة نظر

يوليو/تموز 2015

ثمن التنمية
وتكلفة التقاعس

 IFAD

الاستثمار في السكان الريفيين

ثمن التنمية وتكلفة التقاعس

لا يمر يوم دون أن نطلعنا عناوين الأخبار على الصدمات الاضطرابات في بعض مناطق العالم، وفي أبريل/نيسان من عام 2015 وحده، ولقي أكثر من ألف مهاجر من الشرق الأوسط وأفريقيا مصرعهم في محاولتهم للهروب إلى أوروبا عن طريق البحر. وتتشابك الاضطرابات السياسية بصورة كبيرة مع الفقر المدقع ومع دورة النزاعات والإجباط واليأس.

ومع ذلك، هنالك في أفريقيا 11 من أصل 20 اقتصادا من أسرع الاقتصادات نموا في العالم. كما تتمتع أفريقيا بموارد هائلة، وبحوالي نصف مساحة الأراضي غير المزروعة في العالم الملائمة لزراعة المحاصيل الغذائية، وهنالك أيضا ما يطلق عليه اسم "العائد الديموغرافي" أو السكان في عمر العمل المزدهر. إذن لماذا يوجد هذا العدد من الأشخاص المستعدين للمخاطرة بحياتهم للهروب من أرض تمتلك مثل هذه الفرص؟

لعله بالإمكان الوصول إلى جواب عبر ثلاث كلمات وهي: التقاعس، انعدام المساواة وانعدام الأمن. أمور تبتلى بها أعداد كبيرة من الناس في العالم النامي وتتشابك بصورة عميقة، وتعد المناطق الريفية الأكثر تأثرا على وجه الخصوص ولذلك، فإنه ليس من قبيل المصادفة أن يعيش في هذه المناطق ثلاثة أرباع سكان العالم من الجياع والفقراء.

ويفتقر فقراء الريف، الذين يعتمدون بصورة طاغية على الزراعة لكسب عيشهم، إلى الوصول إلى الأسواق، والتمويل، والتكنولوجيا، والخدمات والبنى الأساسية التي تسمح لهم بالعيش. وهم يقطنون عالما منسيا ومهملا. ولا تقتصر المشكلة على أفريقيا وحدها، حيث يعيش حوالي ثلث السكان الريفيين على بعد أكثر من خمس ساعات من سوق مدينة يقطنها 5 000 شخص. ففي نيبال كانت الكثافة الطرقية عام 2008 بحدود 14 كيلومترا لكل 100 متر مربع من المساحة السطحية - مقارنة بـ 72 كيلومترا في جنوب آسيا - وعلى وجه العموم فإن الوقت الذي يستغرق أسر أصحاب الحيازات الصغيرة للوصول إلى طريق معبد يتجاوز 11 ساعة. وفي نيكاراغوا، تقع مزرعة صغيرة وسطية على بعد حوالي 48 كيلومتر من أقرب طريق. وبالمقابل، في فرنسا، فإن الكثافة الطرقية تصل إلى 187 كيلومترا لكل 100 كيلومتر مربع من الأراضي. أما في المملكة المتحدة فتصل إلى 172 كيلومترا.

كيف يمكن لك أن تطلب من الناس أن تبقى في المناطق الريفية وأن تزرع الأغذية التي يحتاجها العالم إن لم تستثمر في العناصر الرئيسية لنجاحهم؟ في يومنا هذا، تتبع الفجوة بين الأغنياء والفقراء إلى حد كبير الخطوط الفاصلة بين الريف والحضر. وبإمكاننا أن نقيس المسافة التي تفصل بين الفقراء والأغنياء لا من خلال الأموال وحدها، وإنما أيضا بواسطة الطرقات والمدارس التي لم تبن، والخدمات التي لم تقدم، والسياسات التي لم تسن، والأشخاص الذين تم تجاهلهم.

ويوضح مسار وباء الإيبولا تكلفة التفاعس. إذ لم يحظ هذا المرض إلا باهتمام ضئيل على مدى العقود التي كان يؤثر فيها فقط على الأفارقة في المناطق الريفية النائية، حيث قضى أكثر من 11 000 شخصا في 16 شهرا، جميعهم على الغالب في غينيا، وليبيريا، وسيراليون. ولم يكن هنالك إلا استثمار محدود للغاية في الكشف المبكر عن هذا المرض، وفي المرافق الطبية والبنى التحتية والتعليم المجتمعي الذي كان من شأنه أن يحد من انتشاره، ويكلف الإيبولا مليارات الدولارات في الاستجابة الطارئة له، وفي العوائد الضائعة للبلدان المتأثرة به. أما التكلفة الاجتماعية لهذا الوباء فلا يمكن قياسها. لا ينحصر الهدف من التنمية في خلق الثروة بحد ذاتها أو في إيجاد الفوائد للقلّة، وإنما في بناء مجتمعات أفضل لتحقيق الشمولية الواسعة. ويتطلب إعداد الأرضية المناسبة للناس لتحقيق النجاح - وللانتعاش في حال ضربتهم كارثة ما - الاستشراف والاستثمار الخاص منه والعام على حد سواء. في العديد من البلدان غالبا ما يهمل هذا العمل، وخاصة عندما تعد الأرباح السهلة للنفط والتعدين بثررة وطنية دون الحاجة إلى العمل الشاق على البناء والإبقاء على الهياكل الاجتماعية التي يعتمد عليها الاستقرار والتجارة وحكم القانون. وتعاني المناطق الريفية والزراعة على وجه الخصوص، وفي حين تجد ملايين الدولارات طريقها إلى حسابات المصارف الخاصة، تتلاشى الفرص أمام الملايين من السكان الريفيين في الوقت ذاته.

وحتى في يومنا هذا، وبعد المكاسب الكبيرة التي تحققت في الحد من الفقر، يبقى حوالي 60 بالمائة من الطبقة الوسطى في أفريقيا (ما يعادل 200 مليون

شخص) بالكاد خارج الفئة الفقيرة. ويطلق على هذه الفئة "الطبقة العائمة"، التي تكسب ما بين دولارين إلى أربعة دولارات أمريكية يوميا. ولم يتجاوز معدل نمو الطبقة الوسطى من الشريحة العليا - أي أولئك الذين يكسبون بين 10 إلى 20 دولار أمريكي في اليوم الواحد - 2 بالمائة على مدى السنوات العشر الماضية. عندما نتحدث عن "التهميش"، فإننا بحاجة إلى أن نتذكر بأننا نتحدث عن أعداد هائلة من الأشخاص الذين يحرمون من فوائد النمو الاقتصادي، وأن التقاعس، وانعدام المساواة وانعدام الأمن تشكل معا حلقة مفرغة. ومجرد إلقاء الأموال على هذه المشكلة لا يكفي لحلها. إذ أننا بحاجة إلى أن نفكر لا بالاستثمار وحده، وإنما أيضا بنوع وجوده هذا الاستثمار، وبالمساواة في جني نتائجه.

وضع التكاليف في منظور واضح

إننا بحاجة لأن نكون واضحين حول حجم التحدي الذي ينتظرنا. إذ تشير تقديرات لجنة الخبراء الحكومية الدولية المعنية بالتنمية المستدامة إلى أن هنالك حاجة لحوالي 50 مليار دولار أمريكي سنويا للقضاء على الجوع بحلول عام 2025. كما تشير إسقاطات مجموعة عمل فريق مهام منظومة الأمم المتحدة المعنية بالتمويل لأغراض التنمية المستدامة إلى الحاجة إلى استثمار سنوي إضافي بما يتراوح بين 50 إلى 300 مليار دولار أمريكي لأغراض التنمية المستدامة ذات الصلة بالأراضي والزراعة.

وتبدو هذه الأرقام أرقاما مذهلة، خاصة في الوقت الذي يسعى فيه الجميع، من المدراء التنفيذيين للشركات إلى رؤساء البلدان، للوصول إلى سبيل لتقليص النفقات لا لزيادتها. لكن دعونا نضع هذه الأرقام في منظور واضح. ففي عام 2014، ارتفعت جارة الدفاع العالمية للسنة السادسة على التوالي لتصل إلى ما يقدر بحدود 64.4 مليار دولار أمريكي. أما التدفقات المالية الخارجة غير الشرعية من أفريقيا فكانت بحدود 50 مليار دولار أمريكي. وقدرت التجارة العالمية غير الشرعية بالأخشاب بحدود 100 مليار دولار أمريكي سنويا. إنها مبالغ طائلة، وشهادة على الضرر الذي تخلفه الحوكمة الرديئة، وسوء وضع الأولويات والجنشع بحد ذاته.

لذا ومع انه من الهام السؤال من أين سنأتي بالموارد التي نحتاجها للتنمية، علينا أن نمضي بعض الوقت في التفكير بما سنفعله بالموارد التي هي بحوزتنا أصلاً. ما هو نوع المستقبل الذي نستثمر فيه؟

وجد تقرير حالة انعدام الأمن الغذائي في العالم لعام 2015 الصادر حديثاً، أن العديد من البلدان قد فشلت في الوصول إلى الأهداف العالمية للحد من الجوع، كما أدت الكوارث الطبيعية والكوارث التي تسبب بها البشر أو انعدام الاستقرار السياسي إلى أزمات مطولة أدت إلى المزيد من الضعف وانعدام الأمن الغذائي لشرائح واسعة من السكان. وتشير تقديرات البنك الدولي إلى أن أكثر من ملياري شخص في العالم النامي يواجهون شكلاً من أشكال العنف المفرط، وأن حصة فقراء العالم الذين يعيشون في أوضاع هشّة أو متأثرة بالنزاعات اليوم ستتضاعف، على أقل تقدير، بحلول عام 2030.

من الواضح أنه لا يمكننا حمل تكلفة النقص. وهناك أمر واحد لا شك فيه وهو أنه لا يوجد أي جانب إيجابي للفقر، فهو مصدر للعديد من الشرور الاجتماعية، أنه ليس نبيلاً؛ لا بل أنه مدمر. وهو ليس حالة من حالات الطبيعة؛ وإنما هو حالة من حالات الفشل الاجتماعي والسياسي.

خطة التنمية لما بعد عام 2015

ويتم الاعتراف بذلك في خطة التنمية لما بعد عام 2015، التي تتطلع للقضاء على الفقر، وبالتالي فقد كرست اهتمامها وبصورة صحيحة حتى الآن على المناطق الريفية، حيث يعيش معظم السكان الفقراء، وعلى الزراعة، التي يمارسها معظم السكان الريفيين الفقراء. كما أكدت على الحاجة للتطرق لانعدام المساواة.

ومع تطلعنا لتنفيذ خطة التنمية لما بعد عام 2015، فإنه من المحتم علينا أن لا نخلط بين النشاط والعمل. وما أن يتم التثبيت من خطة التنمية لما بعد عام 2015 ووضع النماذج المالية لها، لا بد من أن يسود فهم مشترك بأنها ليست مجرد مبادرة جديدة، وإنما إجراء جماعي تشتد الحاجة إليه للقضاء على الجوع والفقر الذي تبتلى بها أعداد هائلة من الناس في وقتنا الحالي.

البشر هم جوهر التنمية

وما بين التمويل من جهة والأهداف من جهة أخرى، تقبع مليارات من البشر. إنهم الآلية الحقيقية للتنمية. ولهذا السبب يستثمر الصندوق في البشر ويشرك المستفيدين كشركاء في تصميم وتنفيذ المشروعات. كذلك يمكننا أن نتعلم أيضا من الأشخاص الذين نحاول مساعدتهم. إذ لا تعود الزراعة بفوائد سهلة. والنباتات والحيوانات كائنات حية تتطلب الرعاية. كما هو الأمر بالنسبة للأسر والمجتمعات. إن غرس بذرة إنما هو فعل إيمان وأمل بالمستقبل. والمزارع الذي يحسب أين وكيف وماذا يزرع لتوفير ما يلزم له ولأسرته مفكر استراتيجي. شخص لا بد للأخريين من الاعتماد عليه. إننا بحاجة إلى المزيد من هذا النوع من التفكير مع تطلعنا إلى محاولة بناء عالم أفضل وأكثر استدامة، عالم متحرر من الجوع والفقر. ويتطلب ذلك لا مجرد الاستثمار على نطاق هائل، وإنما أيضا التخطيط، وإحاطة هذه الاستثمارات بكل ما تحتاجه من صبر ورعاية على حدّ سواء.

كانايو نوانزي

رئيس الصندوق الدولي للتنمية الزراعية



للاتصال

Sabel Ndure

المساعدة التنفيذية لرئيس الصندوق

رقم الهاتف: +39 06 5459 2200

s.ndure@ifad.org



الصندوق الدولي للتنمية الزراعية

Via Paolo di Dono, 44 – 00142 Rome, Italy

رقم الهاتف: +39-06 54591 – رقم الفاكس: +39 06 5043463

البريد الإلكتروني: ifad@ifad.org

www.ifad.org

www.ruralpovertyportal.org

ifad-un.blogspot.com

www.facebook.com/ifad

instagram.com/ifadnews

www.twitter.com/ifadnews

www.youtube.com/user/ifadTV